«المرتفع الصامت» في الجبل: رحلة في الطبيعة والصمت

مريم الحلواني

في أعالي جبل الزمرد، حيث تتكاثف الغيوم صباح كل يوم، يقع فندق صغير يحمل اسم «المرتفع الصامت». لا يوجد فيه تلفاز، ولا شبكة هاتف، ولا حتى ساعة في الممرات. هذا ليس خطأ، بل هو جزء من الفكرة. الفندق يريد أن يأخذ ضيوفه بعيدا عن كل ما اعتادوا عليه، ليعيدهم إلى أنفسهم.

وصلت إليه بعد رحلة بالسيارة استغرقت ثلاث ساعات من مدينة الوادي، ثم صعود طريق ضيق ملتو لمدة ربع ساعة. كنت متشككا في البداية، فقد سئمت من الأماكن التي تبيع الهدوء بأسعار باهظة. لكن ما رأيته عند البوابة الحجرية جعلني أتوقف: لافتة خشبية كتب عليها بخط يدوي «ضع هاتفك هنا، وستجده عندما تعود».

استقبال بلا كلمات

استقبلني رجل في الستين من عمره اسمه يوسف، لم ينطق بكلمة واحدة. أشار إلى صندوق خشبي، فوضعت هاتفي وساعتي فيه، ثم تبعته إلى غرفة الاستقبال. هناك قدم لي كوبا من شاي الأعشاب وابتسم. لاحقا علمت أنه يعمل في الفندق منذ افتتاحه قبل ثلاثة عشر عاما، وأنه لم يتحدث مع أي ضيف في اليوم الأول إلا نادرا.

الغرف بسيطة عمدا. لا تلفاز، لا مكيف مركزي، فقط مدفأة حطب ونوافذ واسعة تطل على الوادي. السرير كبير ومريح، والإضاءة خافتة بعد الغروب. على الطاولة دفتر زوار وقلم رصاص، وكتيب صغير يشرح قواعد الإقامة. أول قاعدة: لا إشارة للهاتف ولا للإنترنت. ثاني قاعدة: لا أحد يعرف اسمك إلا إذا قلته بنفسك.

يوم يبدأ قبل الشمس

في السادسة صباحا، يطرق يوسف الباب ويترك صينية عليها خبز محلي وعسل وجبن. لا أحد يجبرك على الاستيقاظ، لكن من يفوت الشروق يخسر مشهدا لا يعوض. صعدت إلى سطح الفندق مع عشرة ضيوف آخرين، وجلسنا صامتين نراقب الضباب وهو ينسحب ببطء عن القمم. لم أكن أعرف أن الصمت الجماعي يمكن أن يكون دافئا إلى هذا الحد.

بعد الإفطار، تبدأ الأنشطة، وكلها اختيارية. هناك مسار للمشي يستغرق ثلاث ساعات، وورشة لصنع الفخار، ومكتبة صغيرة في غرفة الجلوس. اخترت المشي، وقادني يوسف بنفسه عبر ممر ضيق بين الصخور. في منتصف الطريق توقف فجأة، أشار إلى عش نسر على جرف بعيد، ثم أكمل السير كأنه لم يقل شيئا. تلك اللحظة وحدها كانت تستحق الرحلة.

الطعام بلا قوائم

الطعام جزء أساسي من التجربة، وكل وجبة تحكي قصة. الإفطار محلي بالكامل، والغداء يعتمد على ما جمعه الضيوف أو قطفوه من الحديقة. العشاء يقدم على طاولة طويلة واحدة، ولا خيار فيه. يسأل الطباخ عن الحساسية مسبقا، ويحاول أن يرضي الجميع قدر الإمكان. في ليلتي الثانية أكلت طبقا لم أعرف اسمه، لكنه كان من أفضل ما ذقته في سنوات.

لمن هذا المكان؟

ليس الفندق للجميع. من يبحث عن واي فاي سريع أو عن حمام سباحة سيشعر بالضجر خلال يوم واحد. أما من يريد أن يقرأ كتابا كاملا، أو يكتب رسالة بخط اليد، أو يجلس ساعة كاملة يراقب الغيوم، فسيجد هنا ما يبحث عنه. الأسعار تبدأ من 95 دينارا للشخص في الليلة الواحدة، وتشمل الإقامة والوجبات الثلاث.

ما يؤخذ عليه

لا يخلو المكان من عيوب. الطريق الصاعد يحتاج إلى سيارة جيدة، وفي الشتاء قد يغلق بسبب الثلوج. الغرف الأرضية قريبة من الممر المشترك، فلا خصوصية كاملة. وبعض الضيوف لا يستطيعون التخلي عن هواتفهم، فيشعرون بالقلق طوال الوقت. هذه ليست أخطاء بقدر ما هي حدود واضحة لفكرة لا تناسب الجميع.

خلاصة

غادرت «المرتفع الصامت» وأنا أشعر بأنني نمت أكثر مما نمت منذ سنوات. لم أعد بصديق جديد، ولا بصور كثيرة، لكنني عدت بشيء نادر: إحساس بأن الوقت ملكي. إذا كنت تبحث عن إجازة تملأ فيها كل دقيقة، فاذهب إلى مكان آخر. أما إذا كنت تريد أن تفرغ، فهذا المكان يعرف كيف يساعدك.

«المرتفع الصامت» في الجبل: رحلة في الطبيعة والصمت

مريم الحلواني

في أعالي جبل الزمرد، حيث تتكاثف الغيوم صباح كل يوم، يقع فندق صغير يحمل اسم «المرتفع الصامت». لا يوجد فيه تلفاز، ولا شبكة هاتف، ولا حتى ساعة في الممرات. هذا ليس خطأ، بل هو جزء من الفكرة. الفندق يريد أن يأخذ ضيوفه بعيدا عن كل ما اعتادوا عليه، ليعيدهم إلى أنفسهم.

وصلت إليه بعد رحلة بالسيارة استغرقت ثلاث ساعات من مدينة الوادي، ثم صعود طريق ضيق ملتو لمدة ربع ساعة. كنت متشككا في البداية، فقد سئمت من الأماكن التي تبيع الهدوء بأسعار باهظة. لكن ما رأيته عند البوابة الحجرية جعلني أتوقف: لافتة خشبية كتب عليها بخط يدوي «ضع هاتفك هنا، وستجده عندما تعود».

استقبال بلا كلمات

استقبلني رجل في الستين من عمره اسمه يوسف، لم ينطق بكلمة واحدة. أشار إلى صندوق خشبي، فوضعت هاتفي وساعتي فيه، ثم تبعته إلى غرفة الاستقبال. هناك قدم لي كوبا من شاي الأعشاب وابتسم. لاحقا علمت أنه يعمل في الفندق منذ افتتاحه قبل ثلاثة عشر عاما، وأنه لم يتحدث مع أي ضيف في اليوم الأول إلا نادرا.

الغرف بسيطة عمدا. لا تلفاز، لا مكيف مركزي، فقط مدفأة حطب ونوافذ واسعة تطل على الوادي. السرير كبير ومريح، والإضاءة خافتة بعد الغروب. على الطاولة دفتر زوار وقلم رصاص، وكتيب صغير يشرح قواعد الإقامة. أول قاعدة: لا إشارة للهاتف ولا للإنترنت. ثاني قاعدة: لا أحد يعرف اسمك إلا إذا قلته بنفسك.

يوم يبدأ قبل الشمس

في السادسة صباحا، يطرق يوسف الباب ويترك صينية عليها خبز محلي وعسل وجبن. لا أحد يجبرك على الاستيقاظ، لكن من يفوت الشروق يخسر مشهدا لا يعوض. صعدت إلى سطح الفندق مع عشرة ضيوف آخرين، وجلسنا صامتين نراقب الضباب وهو ينسحب ببطء عن القمم. لم أكن أعرف أن الصمت الجماعي يمكن أن يكون دافئا إلى هذا الحد.

بعد الإفطار، تبدأ الأنشطة، وكلها اختيارية. هناك مسار للمشي يستغرق ثلاث ساعات، وورشة لصنع الفخار، ومكتبة صغيرة في غرفة الجلوس. اخترت المشي، وقادني يوسف بنفسه عبر ممر ضيق بين الصخور. في منتصف الطريق توقف فجأة، أشار إلى عش نسر على جرف بعيد، ثم أكمل السير كأنه لم يقل شيئا. تلك اللحظة وحدها كانت تستحق الرحلة.

الطعام بلا قوائم

الطعام جزء أساسي من التجربة، وكل وجبة تحكي قصة. الإفطار محلي بالكامل، والغداء يعتمد على ما جمعه الضيوف أو قطفوه من الحديقة. العشاء يقدم على طاولة طويلة واحدة، ولا خيار فيه. يسأل الطباخ عن الحساسية مسبقا، ويحاول أن يرضي الجميع قدر الإمكان. في ليلتي الثانية أكلت طبقا لم أعرف اسمه، لكنه كان من أفضل ما ذقته في سنوات.

لمن هذا المكان؟

ليس الفندق للجميع. من يبحث عن واي فاي سريع أو عن حمام سباحة سيشعر بالضجر خلال يوم واحد. أما من يريد أن يقرأ كتابا كاملا، أو يكتب رسالة بخط اليد، أو يجلس ساعة كاملة يراقب الغيوم، فسيجد هنا ما يبحث عنه. الأسعار تبدأ من 95 دينارا للشخص في الليلة الواحدة، وتشمل الإقامة والوجبات الثلاث.

ما يؤخذ عليه

لا يخلو المكان من عيوب. الطريق الصاعد يحتاج إلى سيارة جيدة، وفي الشتاء قد يغلق بسبب الثلوج. الغرف الأرضية قريبة من الممر المشترك، فلا خصوصية كاملة. وبعض الضيوف لا يستطيعون التخلي عن هواتفهم، فيشعرون بالقلق طوال الوقت. هذه ليست أخطاء بقدر ما هي حدود واضحة لفكرة لا تناسب الجميع.

###